برنامج [ قـرآنـهـم ] - الحلقة ( 22 )

الجمعة : 5 شوال 1438هـ عيد الفطر المبارك 2017/6/30م

✤ وصلنا إلى الآية 160 من سورة الأعراف، ولازالت الآيات في هذه السورة تترا في أحوال بني إسرائيل وقصصهم.

تقول الآية: {**وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أُمما** - القبائل اليعقوبية الإسرائيلية - **وأوحينا إلى موسى إذْ استسقاه قومه أن اضربْ بعصاك الحجر فانبجستْ منهُ اثنتا عشرة عينا قد عَلِم كلُّ أناسٍ مَشربهم وظلّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوى كلوا من طيّبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**}. وإسرائيل هو ويعقوب، ويعقوب ابن اسحاق بن إبراهيم.

إسرائيل كلمة عِبرية تعني (صفي الله، وليّ الله..) هي في هذه المضامين.. فإسرائيل هو يعقوب، ويعقوب كان له من الأولاد إثنا عشر. أنسالُهم وأحفادهم هُم الذين قيل لهم أسباط بني إسرائيل.. فأولاد إسرائيل تناسلوا وصارت كلّ مجموعة تنتسب إلى أحد أبناء إسرائيل، وعلى هذا الأساس قُسّمت قبائل الإسرائيليين والأسباط قد تُطلق على الأحفاد مُطلقاً (أولاد الأولاد الذكور وأولاد الإناث). وقد تُطلق فقط على الأحفاد من البنات.

وهنا الأسباط تُطلق على الطرفين، وإن كان التقسيم على أساس الأولاد الذكور.

● {**قطّعناهم**} أي فصلنا فيما بينهم، فكانتْ كلّ مجموعة تنتمي إلى أحد أولاد يعقوب.

● {**إذْ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر**} التعبير هنا جميل جدّاً: أي أنّ بني اسرائيل طلبوا الماء من نبيّهم.. وأمّا كيفية هذا الطلب فتُبيّنه الرواية التالية في تفسير القمّي: .. (**فإنّ بني إسرائيل لمّا عبر بهم موسى البحر، نزلوا في مَفازة** - أي الأرض الواسعة: الصحراء - **فقالوا : يا موسى، أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظل ولا شجر ولا ماء، وكانت تجيء بالنهار غمامة تظلّهم من الشمس، وينزل عليهم بالّليل المَن فيقعُ على النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشيّ يأتيهم طائر مشوي فيقعُ على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار، وكان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر - وسط المُخيّم الذي يقطن فيه الإسرائيليون في تلك المفازة - ثمّ يضربه بعصاة فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً كما حكى الله، فيذهب كلّ سبط في رحله** - مكان إقامته - **وكانوا اثنى عشر سبطاً**..)

● {**المَن**} نوعُ حلوى نزلتْ مِن السماء على بني إسرائيل، بيضاء اللّون كأنّها القطن الأبيض، حُلوة الطعم، طيّبة الرائحة، خفيفة الطبع على مزاج الإنسان.

● {**السلوى**} طائر السمانا

● {**انبجست**} أي نبعتْ بنحوٍ لا هي تسيلُ سيلاناً بطيئاً، ولا هي تلك التي انفجرتْ انفجاراً هائلاً.. وإنّما نبعت وتدّفق الماء صافياً زلالاً يجري بسرعة إلى كلّ رحل، أي إلى كُلّ قبيلة من تلك القبائل الإسرائيلية.

● (**فيذهب كلّ سبط في رحله**) أي أنّ هذه العيون كُلّ عين تسيل في مجرى وهذا المجرى يصل إلى كُلّ سبط من الأسباط (أي كلّ قبيلة من القبائل). ■ في حلقة يوم أمس ذكرتُ من أنّ الروايات حدّثتنا حين ضرب موسى بعصاه البحر انفتح لهم طريقٌ واسع.. هم اقترحوا على موسى أن يفتح لهم اثنا عشر طريقاً لكلّ سبط مِن الأسباط، فيبدو أنّ تنافساً واضحاً فيما بينهم لذلك حتّى العيون كانت بعدد تلك (الأسباط) أي القبائل، وكلّ عين يتدفّق ماؤها باتّجاه المكان التي سكنتْ فيه تلك القبيلة في تلك المفازة الواسعة.. فكان موسى يضع الحجر في وسط تلك المُخيّمات.

والروايات تُحدّثنا عن هذا الحجر أنّ الإمام الحُجّة سيُخرجه لأصحابه وسيحملونه حينما تتحرّك قواته من الحجاز باتّجاه العراق.. ولهذا الحجر حكاية في جيش الإمام "عليه السلام".

● {**قد علم كلُّ أناس مشربهم**} هذهِ العيون مميزة وكلّ عين تجري في مسارها إلى قبيلتها.

لو لم تُبيّن لنا الرواية السابقة من أنّ هذه العيون تسير في مجاري وكُلّ مجرى يذهب إلى قبيلة، فلن نستطيع أن نفهم هذه العبارة.. فلربّما يكون معناها أنّ العيون كانت مميزة بعلاماتٍ وكُلّ قبيلةٍ تأتي إلى عينها.. وهكذا كلّ القرآن لن يكون واضحاً وبيّناً مِن دون حديثهم الشريف.

● {**كلوا من طيّبات ما رزقناكم**} هذه هي الطيّبات، فلا هي من أموال الظالمين، ولا تدخّل الإنسان في صناعتها وعبث فيها.. طيّبات على أكمل وجه من أيدي الملائكة إلى أفواه بني إسرائيل ولكنّهم بعد ذلك احتجّوا على هذه الطيّبات، وطلبوا من موسى أن يأكلوا العدس والفوم والقثّاء والبصل إلى غير ذلك!

● {**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**} نحنُ أحسنّا إليهم وأحسنّا، وصنعنا لهم المعجزات.

بنو إسرائيل هم أكثر أمّة وأكثرُ شعب رأى من المعجزات الهائلة، وأكثرُ أمّة جادلتْ نبيّها موسى وبقيّة أنبيائها على طول التأريخ!

لقد رأوا مِن الآيات العَجَب، لقد رأوا عصا موسى وهذه لوحدها تكفي.. هذه التي خرّ الجبابرة لها، وهي التي ألقتْ السحرة ساجدين على وجوههم!
لقد رأوا عجائب عصا موسى، ولقد رأوا يده البيضاء الباهرة، ولقد رأوا ما الذي جرى على الفراعنة الأقباط من ألم المجاعة والسنين التي أصابتهم ونقص الثمرات بنحوٍ إعجازي واضح جلي.. ولقد رأوا ما رأوا من الآيات (من الطوفان، والجراد، والقُمّل، والضفادع، والدم) وكانوا هم بمنجىً ومنأىً من كلّ ذلك.. كان الأقباط فقط يتعذّبون بكلّ لذلك، والإسرائيليون في حالة مُريحة مع أنّهم يعيشون معهم!

● وجاء الرجز ذلك الجليد الأحمر، وبعد ذلك رأوا ما رأوا من آيات موسى.. وأعجبُها حين عبروا البحر، وكيف عبر الإسرائيليون بقضّهم وقضيضهم يسيرون على مياه البحر الأحمر.. عبروا البحر بعرباتهم، وخيولهم وأغنامهم، وماعزهم، وأطفالهم، وعجائزهم، عبروا يعيشون حالة أمنٍ وطُمأنينة يُحدّث بعضهم بعضاً في حالة سرور ونصر حتّى جازوا إلى الجهة الثانية.. ورأوا فرعون بكلّ كبريائه كيف انطبقت الأمواج عليه وعلى جيشه.. معجزات تتلو معجزات. وها هو الغمامُ يُظلّلهم، وها هو المَنُّ والسلوى، وها هي العُيون المُنبجسات.. وبقيت هذه المعجزات تترا وتترا على بني إسرائيل، كل ذلك لأنّم كُلّفوا بدرجةٍ أعلى مِن سائر الأمم السابقة بولاية محمّد وعلي والتي مسحوها بالكامل مِن ثقافتهم ودينهم.

● {**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**} فلا نحن ظلمناهم، إنّما أحسنّا إليهم، وحينما ظلموا فإنّ ظُلمهم لن يصل إلينا.. فإنّ ظلم العباد سيُحيط بالعباد أنفسهم. الظلم ظلام، والظلام زنزانة يحبس الإنسان فيها نفسه بعيداً عن جادّة الهدى.

■ قوله {**وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيثُ شئتم وقولوا حطّة وادخلوا الباب سُجّداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين* فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً** - عذاباً - **من السماء بما كانوا يظلمون**} هذا بعد أن عبروا البحر، وهذه الحوادث ليستْ مُتصّلة زماناً. هناك مُعطيات نحن لا نعرفها؛ لأنّ الروايات لم تصِل إلينا كاملة، لو كان تفسير إمامنا العسكري قد وصل إلينا كاملاً لعرفنا تمام الحقائق؛ لأنّ الذي يبدو ممّا وصل إلينا من جزء يسير من هذا التفسير أنّ الإمام العسكري قد فصّل الأمور تفصيلاً كاملاً.

● {**اسكنوا هذه القرية**} القرية مدينة قِيل هي أريحا في فلسطين، وقيل غيرها.

● {**فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون**} الروايات تُحدّثنا عن طاعون فتّاكٍ وهتّاكٍ فتك في بني إسرائيل حتّى مات منهم 120 ألفاً في غضون ساعات.

■ وقفة عند ما جاء في تفسير الإمام العسكري بشأن هذه الآية {**وقولوا حطّة وادخلوا الباب** - أي الباب الرئيس للقرية - **سُجّداً نغفر لكم خطيئاتكم**}
يقول الإمام العسكري "عليه السلام":
**مثّل الله تعالى على الباب مِثال مُحمّد وعلي، وأمرهم** -أي بني إسرائيل - **أن يسجدوا تعظيماً لذلك المِثال، ويُجدّدوا على أنفسهم بيعتهُما وذِكْر مُوالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذَين عليهم لهما .{وقولوا حطّة} أي قولوا: إنّ سجودنا لله تعالى تعظيماً لمثال محمّد وعلي واعتقادنا لولايتهما حطّة لذنوبنا ومحوٌ لسيئاتنا، قال الله عزّ وجلّ: {نغفر لكم} أي بهذا الفعل نغفر لكم خطاياكم السالفة ونُزيل عنكم آثامكم الماضية .**
**{وسنزيد المُحسنين} من كان منكم لم يقارف الذنوب التي قارفها من خالف الولاية، وثبت على ما أعطى الله من نفسه من عهد الولاية، فإنّا نزيدهم بهذا الفعل زيادة درجات ومثوبات وذلك قوله عزّ وجل {وسنزيد المُحسنين}**
**قوله {فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم} أي لم يسجدوا كما أُمروا، ولا قالوا ما أُمروا، ولكن دخلوها مُستقبليها بأستاههم** - أي بأدبارهم - **وقالوا: هنطا سمقانا، أي حنطة حمراء نتقوّتها أحبّ إلينا مِن هذا الفعل.**
**فأنزلنا على الّذين ظلمُوا غيروا وبدّلوا ما قيل لهم ولم ينقادوا لولاية مُحمّد وعلي وآلهما الطيبين الطاهرين {رِجْزاً مِن السماء بما كانُوا يفسقون} يخرجون عن أمر الله وطاعته. قال: والرجز الذي أصابهم أنه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون ألفا..)**

● قول الرواية (**مثّل الله تعالى على الباب مِثال مُحمّد وعلي**) الملائكة وضعتْ هذه الصورة.. هذا تجلّ من تجليّات محمّد وعلي.. حالةُ انكشاف لتجلّ مِن تجلّياتهم بصورة مِثال على باب تلك القرية والذي عُرف في ثقافتنا بباب حطّة.. وفي كلمات أهل البيت وزياراتهم هم باب حطّة "صلوات الله عليهم"

● قول الرواية: (**وليذكروا العهد والميثاق المأخوذَين عليهم لهما**) لولا هذا العهد والميثاق لَما جرى ما جرى في كُلّ هذه المسيرة الموسوية الإسرائيلية.. وكما قلت فإنّ خُصوصيّة بني اسرائيل التي تميّزوا بها ومُيّزوا بها عن باقي الأمم هو تكليفهم المُفصّل بولاية محمّد وعليّ صلّى الله عليهما وآلهما. صحيح أنّهم حرّفوا، وحذفوا، وبدّلوا وغيّروا، ولكن بقي في الوجدان الإسرائيلي شيء من تلك العقائد، ومن هنا هاجروا من بلاد الشام (أرض العمران والحضارة) إلى جزيرة العرب حيث الصحراء القاحلة يبحثون عن مُهاجر النبي الخاتم، وقد قرأوا في كُتبهم، وبلغهم عن أنبيائهم أنّ النبيّ الخاتم سيُهاجر إلى مدينة يُقال لها يثرب فجاؤوا يبحثون عن يثرب بحثاً عن محمّد "صلّى الله عليه وآله".

■ في الآية 163 {**واسألهم عن القرية التي كانتْ حاضرة البحر** - على ساحل البحر في أكناف البحر - **إذ يعدون في السبت إذْ تأتيهم حيتانُهم يوم سَبتهم شُرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون**}

● {**واسألهم عن القرية**} في رواياتنا هي مدينة من مُدن بني إسرائيل على ساحل البحر الأحمر.

● أحاديث العترة تقول إنّ عيد اليهود كان الجمعة وحتّى النصارى.

(وقفة قصيرة تُبيّن كيف تغيّر عيد النصارى من يوم الجمعة وهو الأصل إلى يوم الأحد).

فبنو إسرائيل كان عيدهم الأصل هو الجمعة، ولكنّهم أعرضوا عنه وهذا الإعراض هو جزء من إعراضهم عن التمسّك بعهود الولاية. فيوم الجمعة يوم له خُصوصية في عهود الولاية وفي مواثيقها.. فاليهود عدلوا عن الجمعة إلى السبت، فحرّم عليهم أنبياؤهم أن يصيدوا السمك في يوم السبت! وصيادة السمك في يوم السبت لمدينة هي على ساحل البحر أمرٌ في غاية الأهميّة بالنسبة لِمعاشهم ووضعهم الاقتصادي. الفتنة أين؟

هم اختاروا السبت، وتركوا ما أراده الله وهو "الجمعة" وهناك أحكام تترتّب في ديانة اليهود في يوم عيدهم وهي:

أن لا يُباشروا عملاً تجارياً، فلا يحقّ لهم أن يصطادوا السمك ولا يحقّ لهم أن يأكلوا السمك.. ولكن كانت الأسماك تأتي بغزارة وتتدفّق من كلّ مكان في البحر فتُغطّي البحر في يوم السبت بحيث لو أنّ إنساناً أراد أن يُمسك بها بيده لاستطاع من دون شباك.

ولكنّها عند نهاية يوم السبت تذهب بعيداً، وحينما يأتي يوم الأحد لا يجدون سمكاً يصطادونه! الذي حصل:

هو أنّه جاءهم الشيطان هنا فأقنعهم من أنّ التحريم يتعلّق بأكل السمك، لا يتعلّق باصطياده.. فاصطادوا السمك، وهيّأ الشيطان لهم أفكاراً أن نصبوا شِباكاً قبل يوم السبت فالأسماك تأتي فتقع في هذه الشِباك، ولكنّهم لا يُخرجونها في يوم السبت، وإنّما يُخرجونها في يوم الأحد ويقولون: إنّنا لم نصطد سمكاً في يوم السبت، وإنّما اصطدنا السمك في يوم الأحد.. بعبارة أخرى: يأتون بحيلة شرعية.. أي ما يُسمّى بالحيلة الشرعية في الوسط الديني، وهي موجودةٌ أيضاً في أوساطنا الدينية الشيعية، تُصدّرها المؤسسة الدينية للشيعة.. وقطعاً لا علاقة لها بفقه آل محمدّ.. هذه شيطنة في شيطنة! ● وهناك مَن احتال بحيلة أخرى فحفر أخاديد - سواقي - من الساحل وأدخلها إلى مسافة إلى داخل المدينة، وهناك حفروا أحواضاً.. فلأنّ الأسماك كثيرة تندفع في هذه السواقي، فتصِل إلى تلك الأحواض، فإذا ما وصلت لتلك الأحواض لا تستطيع الأسماك أن تخرج منها وأن تعود مرّة أخرى للبحر، لأنّ السواقي مُنخفضة، فتبقى هناك.. ففي اليوم الثاني يأخذونها ويقولون: نحن لم نصطد سمكاً، والحال أنّهم اصطادوا فهذه طريقة صيّد.

قصّة مدينة "أيلة" حاضرة البحر.. قصّة السمك والقِردة والعجائب!

■ قوله {**واسألهم عن القرية** - أيلة - **التي كانتْ حاضرة البحر** - بحر القلزم وهو الإسم القديم للبحر الأحمر - **إذ يعدون في السبت إذْ تأتيهم حيتانُهم** - أي الأسماك - **يوم سبتهم** - بشكل واضح وبيّن - **شُرّعاً** - بكثرة ووفرة - **ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون**}

● قوله {**إذ يعدون في السبت**} أي يتعدّون ويتجاوزون ما حُدّد لهم مِن أحكام.

● السمك عنوان في الأصل لكلّ الحيوانات البحرية، وأمّا الحيتان فهي اسمٌ لِما نُسمّيه الآن بالأسماك.. وأمّا ما نُسمّيه اليوم بالحوت فهو (النون) ومن هنا كان النبي يونس يُلقّب بـ(ذي النون).

● {**نبلوهم بما كانوا يفسقون**} نمتحنهم بما ما خالفوا.. فنحنُ نظّمنا حياتهم وجعلنا لهم "الجمعة" عيداً.. وهذا اليوم يرتبط بعهودهم ومواثيقهم ومع كلّ تلك الآيات والمعجزات الباهرات التي ارتبطت بعهود ومواثيق الولاية لمحمّد وعلي، ها هم اليوم ينسفون كل شيء! حتّى هذه الطقوس وهذه العلامات وهذه المناسبات وإذا بهم يُحرّفون مُناسبة العيد الإسبوعي إلى يوم السبت. من هنا جاء هذا الامتحان، فلو نجحوا في الامتحان فإنّ التوفيق سيقودهم إلى تصحيح أخطائهم، ولكنّهم لم ينجحوا.. الذين نجحوا في هذا الامتحان طائفة قليلة نجت من عقوبة هذه المدينة ومن لعنتها.

■ قوله {**وإذ قالت أُمّة منهم لم تعظون قوماً الله مُهلكهم أو مُعذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةً إلى ربّكم ولعلّهم يتّقون**}

هذه الآية تُبيّن لنا أنّ سكان المدينة افترقوا على ثلاث فرق:

◈ الفرقةالاولى فرقة كبيرة ذكرتْ عددهم يصل إلى 70 ألف كما في بعض الروايات، هؤلاء هم الذين يحتالون بتلك الحِيَل الشرعية في اصطياد السمك في يوم السبت. (هذه المجموعة الأكبر من سُكان المدينة) هذه الفرقة الكبيرة تحتال بالحِيل الشرعية وحتماً هذه الحِيل جاؤوا بها من المؤسسة الدينية.. فهناك مَن هو مُستعدّ لأن يُصدر الفتاوى التي يُصطلح عليها في الوسط الديني بالفتاوى (البازارية).

◈ الفرقة الثانية وهي أقّل عدداً من الأولى.. هؤلاء تصدّوا للأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر.. بل إنّهم صدعوا بالحقّ

◈ الفرقة الثالثة لم تشترك في الاصطياد ولكنّها سكتتْ! وكما يقول سيّد الأوصياء: (**الساكت عن الحقّ شيطانٌ أخرس**) هذه فرقة الشياطين الخُرس،

وهؤلاء كثيرون جدّاً في الوسط الديني، خصوصاً وسط رجال الدين.. هؤلاء يعرفون الحقائق ولكنّهم يسكتون! الأسباب كثيرة ولكنّ أكثرهم يعملون بهذه القاعدة العراقية: (قاعدة الصيصان - جمع صوص -) فهم يأكلون ويُوصوصون.

■ **توضيح مُختصر لقاعدة الصيصان:**

فراخ الدجاجة "الصيصان" تدور حول أمّها، وتأكّل ما تُوفّر الدجاجة لها وتُوصوص.. فهي لا تبذل جهداً.

فكثير من أصحاب العمائم ومن غيرهم من وجهاء القوم يعملون بهذه القاعدة (قاعدة الصيصان).. هؤلاء هم الذين يُلبسهم الناس صفة القداسة، هؤلاء يُبرّرون سُكوتهم عن الباطل وعدم صدعهم بالحقّ بهذا المنطق، يقولون: هؤلاء الذين تعظونهم لا ينفع الكلام معهم، الأفضل أن نجلس في بيوتنا، فهذه فتنة ويجب أن نكون أحلاس بيوتنا

● قول الآية {**قالوا معذرةً إلى ربّكم ولعلّهم يتّقون**} هؤلاء الذين يصدعون بالحقّ يقولون أنّ سبب صدعنا بالحقّ أولاً: هو معذرة إلى ربّكم، يعني حينما سنُسأل نقول: لقد فعلنا.. أمّا النتائج فلسنا مسؤولين عنها. (فنحن نُؤدّي ما يجب علينا)

والأمر الثاني: لعلّهم يتّقون وينتفعون من هذه الموعظة.

■ قوله {**فلمّا نسوا ما ذُكّروا به** - أي المُعتدين، ومعهم الشياطين الخُرس - **أنجينا الذين ينهون عن السُوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس** - العذاب الشديد الفاضح والمُهين - **بما كانوا يفسقون**}

يعني أنّ الذين نجوا هم فقط الذين صدعوا بالحق، أمّا المُعتدين والشياطين الخُرس "الساكتون عن الحقّ" فقد وقع عليهم العذاب البئيس.

■ قوله {**فلمّا عتوا** - أي تمرّدوا - **عن ما نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قِرَدة خاسئين**} الخاسئون جمع لخاسىء والخاسىء هو الحقير المبعد.

● مدينة "أيلة" وفي يوم من أيام الجمعة ازدحموا يُهيّئون أمورهم لاصطياد الأسماك بهذه الحِيَل الشرعية (عبر الشباك، عبر الأخاديد والأحواض..) وأقبلت الأسماك شُرّعاً بوفرة، ودخلتْ في السواقي والأحواض التي صنعوها وسط المدينة. جاءتْ ليلة السبت.. ضجيج المدينة وأهل المدينة يتجوّلون في أحنائها. الذي حدث هو أنّ المجموعة التي كانت تصدع بالحق قرّرت أن تخرج من المدينة لأنّهم وجدوا أنّ هؤلاء القوم الذين يستعملون الحِيَل الشرعية لن ينفع الكلام معهم، وكذلك الشياطين الخُرس هم على حالهم.. ولذا قرّر الصادعون بالحقّ الخروج من المدينة مع عوائلهم ومُمتلكاتهم وقالوا لا بقاء لنا في مدينة كهذه، لقد صدعنا بالحق، وبيّنا الحقائق ولكن هؤلاء القوم في غيّهم سادرون!

● حين خرجَ الصادعون بالحقّ من المدينة وغلّقتْ المدينة أبوابها ولم يبقَ فيها إلّا المُعتدون والساكتون عن الحقّ.. وكانوا فرحين لأنّهم تخلّصوا من إزعاج الصادعين بالحقّ. ولكن الذي حدث في اللّيل أنّ العذاب البئيس نزل على المُعتدين وعلى الشياطين الخُرس فمُسِخ الجميع قردة خاسئين!

● جاء يوم الأحد، والمُفترض أنّ الأبواب تُفتّح منذ الصباح في تلك القرية، وأن القوم يتراكضون إلى شباكهم ويجمعون الأسماك، ولكنّ المدينة كانت هادئة عند الصباح. فجاء أقوام من القرى المُحيطة للبيع والشراء ولشؤونهم، وجاء بعض الذين كانوا يقطنون هذه المدينة من الصادعين بالحق.. وصاروا يرفعون أصواتهم يُنادون على أهل المدينة ولكن لا يوجد جواب! حين يأسوا من الأمر نصبوا السلالم فصعدوا عليها ليروا ما الذي جرى على أهل مدينة أيلة.. فرأوا أنّ المدينة تموج بالقردة في كلّ مكان، ولم يروا إنسان واحد في تلك المدينة.

صعد الناس على أسوار المدينة خصوصاً من كان له أقرباء.. الناس لم يعرفوا أقرباءهم فالجميع قردة! ولكن القردة عرفت أقرباءها من البشر وبدؤوا يقتربون من أسوار المدينة وعيونهم دامعة.. وانتشر الخبر، فجاء الناس من كلّ مكان يُطلّون على مدينة أيلة!

(علماً أنّ القرآن ذكر أنّهم مُسخوا قِرَدة، أمّا الروايات فتقول أنّهم مُسخوا قردة وخنازير!)

■ مدينة أيلة في أحاديث العترة لها صلة ببقايا قوم ثمود.. صحيح أنّها مِن مُدن بني إسرائيل، ولكن هناك صِلة فيما بينها وبين بقايا ثمود كما جاء في الروايات. فهذه المدينة مدينة اسرائيلية قطعاً ولكن قوماً من ثمود اختلطوا بالإسرائيليين في هذه المدينة.. وقد مرّ الكلام عن قوم ثمود في الحلقات الماضية فيما يرتبط بسورة الشمس، وذكرت أنّ أحاديث العترة تقول في معنى قوله تعالى: {**كذّبت ثمود بطغواها**} ثمود رهط من الشيعة.

علماً أنّ مدينة أيلة لم يبقَ لها أثر فقد اقتلعتها الأعاصير والأمطار ورمت بها في البحر.. فالمُسوخ لا تبقى أكثر من 3 أيّام كما تقول الروايات.. ولكن بقيت فروع هذه المدينة ورموزها الممسوخة في هذه الأمّة!

■ وقفة عند حديث سيّد الأوصياء في [تفسير القمّي] وهو يتحدّث عن مدينة أيلة (الثمودية الإسرائيلية) يقول:

(**والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّي لأعرف أنسابها من هذه الأُمّة، لا يُنكرون ولا يُغيّرون بل تركوا ما أمروا به فتفرّقوا**)

ففي هذه الأُمّة من هو مُنتسبٌ إلى تلك المدينة. والمعنى الأوّل لكلمة (أمّة النبي) هم شيعة أهل البيت.. هكذا جاء في أحاديثهم الشريفة.

المجاميع التي تنتمي في وسطنا لهذه المدينة (أي مدينة القردة) الإمام يقول عنهم: لا يُنكرون ولا يُغيّرون.

■ المسوخ في مدينة أيلة كانت مسوخ ظاهرية، أمّا المسوخ في هذه الأمّة فهي مسوخ باطنية! ولا أعتقد أنّ مسخاً هو ألعن وأشدّ وأقبح ممّا جاء في حديث صادق العترة وهو يتحدّث عن فقهاء السوء في الواقع الشيعي الذين يتعلّمون بعض علوم آل محمّد الصحيحة ويُضيفون إليها أضعافها وأضعاف أضعاف من الأكاذيب على أهل البيت ويُقدّمونه للشيعة على أنّه من علوم أهل البيت وأهل البيت من هذا الفكر المُشوّه بُرآء!

■ قوله {**وإذ تأذّن ربك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم** - يُجرّعهم - **سوء العذاب إنّ ربك لسريع العقاب وإنّه لغفور رحيم**}

الآية هنا تتحدّث عن سُنّة إلهية جرت في الأمم السالفة وطُبّقتْ على بني إسرائيل. عبر التأريخ والآلام تترا على بني إسرائيل! ولربّما من أهون ما جرى على بني إسرائيل هو استحقار الأمم لهم أينما حلّوا! وهذه المضامين إذا أردنا أن نبحث عنها في الكتاب المُقدّس سنجد الكثير والكثير من تهديد الربّ لبني إسرائيل ولِما سيجري عليهم من العذاب والعقوبات والآلام بسبب ما صدر منهم. (هذه المعاني واضحة في كتاب العهد القديم)

● {**ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة**} هذا العنوان (يوم القيامة) في أحاديث العترة المعنى الأوّل له هو قيامُ إمام زماننا.

■ {**وقطّعناهم في الأرض أُمماً** - أي أنّهم تفرّقوا - **منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم** - امتحنّاهم - **بالحسنات والسيّئات لعلّهم يرجعون** - إلى ساحة الحقّ والحقيقة -}

ومن درس تأريخ بني إسرائيل فإنّه سيتلمّس هذه الحقيقة بشكل واضح أنّهم تفرّقوا في كلّ مكان قبل اجتماعهم في فلسطين.

● {**وبلوناهم بالحسنات والسيّئات**} تقلّبت حياتهم ما بين ما يُؤدّي إلى حسنات أو بين ما يُؤدّي إلى سيّئات (بحسب المُصطلح الديني).

أو أنّ المُراد من الحسنات: ما هو مريح لهم في الحياة، والمراد من السيّئات: ما هو مُنغّص للمزاج ولمعاشهم اليومي.. وكل المعاني تلتقي في نقطة واحدة هي الامتحان.

■ {**فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب** - كتاب موسى - **يأخذون عرض هذا الأدنى** - ما يجدونه سهلاً مُستسهلاً والكلام عن الدنيا ومتاعها - **ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحقّ ودرسوا ما فيه** - أي ما في الكتاب من الحقائق - **والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون**}

● {**فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب**} الحديث هنا عن رجال الدين (المؤسسة الدينية) بقرينة وراثة الكتاب، فالعلماء ورثة الأنبياء (هذا المضمون موجود عندنا وموجود عند اليهود والنصارى أيضاً). وهذا يعني أنّ أكثر الحديث فيما سلف هو عن رجال الدين، ومن هنا فإنّ القردة الخاسئين هم رجال الدين.

■ الآية 170 {**والذين يُمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنّا لا نُضيع أجر المُصلحين**} الآية في كُلّ أجزائها في آل محمّد في جهة، ومن جهة أخرى في أشياعهم.

● {**والذين يُمسّكون بالكتاب**} هم الذين التزموا به واستمسكوا وتمسّكوا به.

● {**وأقاموا الصلاة**} إقامة الصلاة بمعناها الأتم لا يتحقّق إلّا منهم وفيهم وبهم "صلوات الله عليهم".

● {**إنّا لا نُضيع أجر المُصلحين**} المُصلحون هم محمّد وآل محمّد والإصلاح برنامجهم.

ومن جهة ثانية: يُمكن أن تكون هذه الآية في أشياعهم، فهم الذين يُمسّكوننا الكتاب، وبهم نحن نستمسك ونتمسّك بعروة محمّد وآل محمّد الوثقى. القرآن هنا يعقد مُقارنة بين المؤسسة الدينية اليهودية التي تحدّثت عنها الآية السابقة لِهذه الآية، وبين جهة مُحمّد وآل محمّد وأشياعهم.

■ {**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة وظنّوا أنّه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوّة واذكروا ما فيه لعلّكم تتقون**}

● {**نتقنا الجبل فوقهم**} أي فوق بني إسرائيل.. والمُراد: قطعناه وعزلناه عن الأرض ورفعناه فوق رؤوسهم كأنّه مظلّة تُظلّهم عن السماء.

من دون أحاديث أهل البيت، هذه الآية مُغلقة لا تُفهم أبداً!

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق في [تفسير القمي] يقول: (**لمّا أنزلَ الله التوراة على بني إسرائيل لم يقبلوا، فرفعَ الله عليهم جبل طور سيناء، فقال لهم موسى: إنْ لم تقبلوا وقع عليكم الجبل، فقبلوه وطأطأوا رؤوسهم**). قصّة بني إسرائيل قصّة معقّدة!

نتقنا الجبل أي قطعناه عن الأرض ورفعناه فوقهم، فصار مِظلّة لهم عن السماء، وظنّوا أنّه واقعٌ بهم حينما جاءهم موسى بالتوراة، فقال لهم موسى بعد أن رفضوا وارتفع الجبل على رؤوسهم: إن لم تقبلوا بكتاب الله هذا فإنّ الجبل واقعٌ عليكم.. فقبلوا وطأطأوا رؤوسهم.

● وهنا يُوجّه الخِطاب إليهم: {**خذوا ما آتيناكم بقوّة**}. هذه القوّة قوّة القلوب والأبدان كما تقول أحاديث العترة، أي: اجعلوا قلوبكم وعقولهم في طاعة هذا الكتاب، واجعلوا أبدانكم كذلك؛ لأنّ اليهود كانوا يتكاسلون حينما يطلب موسى منهم شيئاً.

والتكاسل والكسل هو أقبح شيء في حياة الذين يُريدون أن يقتربوا من الله؛ لأنّ الكسل يأتي على كُلّ ما هو نافع في الحياة الدنيوية والأخروية.. الكسل يقود إلى الفشل في الدنيا والآخرة. الكسل قد يجتذبه الإنسان بسبب ضعف همّته ونيّته.. الكسّل قد يُسيطر على الإنسان فيُحوّل حياتهم إلى فوضى، لِذا يُطالبهم الله أن يأخذوا هذا الدين بقوّة. من هنا جاء هذا المنطق (إنّ الله يُحبّ المؤمن القوي ولا يُحبّ المؤمن الضعيف).

القوّة أساساً في القلوب والعقول وبعد ذلك تنتقل إلى الأبدان، يقول سيّد الأوصياء: (**ما ضعُف بدن عمّا قويتْ عليه النيّة**)

● {**وظنّوا أنّه واقع بهم**} اليهود تشكيك في كلّ شيء! كُلّ تلك المعجزات والآيات ومع ذلك يُشككون بموسى! استمرّوا بإيذاء موسى إلى آخر يوم من حياته.. وبعد كُلّ ذلك ها هُم يُشكّكون بتوراة موسى.. وبيّن لهم مُوسى إنْ لم يقبلوا بالتوراة فالجبل واقع عليهم.

حالة موجودة في الواقع الشيعي على طول الخطّ مُنذ زمان الأئمة وإلى يومنا هذا. في جوّ الحقيقة (جوّ محمّد وآل محمّد) الأباطيل تُصدّق والحقائق تُكذّب.. وغريبٌ حال الواقع الشيعي، فإنّ كُلّ الأمم تُدافع عن كُتبها وتُقدّس آثارها، إلّا في الواقع الشيعي، تكاد كلمة الجميع تُجمع على توهين كُتبنا وتضعيف أحاديثنا!

● أهمُّ فقرة في الحياة الدينية الشيعية هي فقرة (التقليد، الفقهاء) هذه الفقرة حينما تحدّث عنها الإمام الصادق في تفسير الإمام العسكري.. الإمام قام بمقارنة في هذه المسألة بين فقهاء اليهود وعوام اليهود وبين عملية التقليد عند اليهود، قارن بين هذا وبين فقهاء الشيعة وعوام الشيعة وعملية التقليد في الوسط الشيعي!

● {**واذكروا ما فيه**} أي راجعوه تفحّصوه، لا تهجروه، لعلّكم تتّقون نار الآخرة.

■ {**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظُهورهم ذُرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين**}. الآية تتحدّث عمّا هو معروف في الوسط الشيعي بـ(عالم الذر) وهذا المصطلح لم يرد في أحاديث العترة ولا في آيات الكتاب، ولكنّه صار شائعاً في الثقافة الشيعية (هو عنوان للمضمون الذي جاء مذكوراً في هذه الآية).

✤ نماذج من الروايات والأحاديث التي تناولت هذا الموضوع:

■ وقفة عند حديث الإمام الباقر في [تفسير البرهان: ج3]: (**عن زرارة عن أبي جعفر الباقر "عليه السلام" في معنى قوله تعالى: {وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذُرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى} قال "عليه السلام": أخرج مِن ظهْر آدم ذُرّيته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذرّ، فعرّفهم وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه**). الذر جمع ذرّة، والذرّة في لغة العرب: الذرّة هي الأجزاء الصغيرة مِن كُلّ شيء، فقد تُطلق على حبّات التراب والرمل، أو على ذرّات الهباء. (وقفة عند معنى الذر والذرّة في لغة العرب)

● (**فخرجوا كالذرّ**) إشارة إلى الكثرة إشارة إلى أنّهم في هيئة تختلف عن الهيئة البشرية.

● (**فعرّفهم وأراهم صنعه**) قطعاً التعريف الذي يتناسب مع هذه المرتبة من الخلقة، والإراءة كذلك.

قوله (**خرجوا كالذر**) لا نملكُ تصوّراً عن ذلك، فهو وجود يتناسب مع ذلك العالم الذي سُمّي بعالم الميثاق، وعُبّر عنه في بعض الروايات بالذرّ الأوّل (وهو عالم الميثاق) فعالم الذرّ هذا عالم له خُصوصيّته وله قوانينه كبقيّة العوالم.. فطعامنا وشرابنا في ذلك العالم يتناسب مع الحقيقة التي كُنّا عليها، وبما يبعث الطاقة فينا.

قطعاً التسبيح هو طعام وشراب في تلك العوالم العلوية، وعالم الميثاق هو أحد تلك العوالم.. والتسبيح له دلالات كثيرة: التسبيح هو حركة باتّجاه التكامل.. كما أنّ السباحة هي حركة باتّجاه الخلاص من الأوساخ والأدران.. فالجذر اللّغوي واحد فيمن يسبح في الماء وفيمن يُسبّح في الملأ الأعلى.

● (**ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه**) هذا هو البناء والتأسيس الفطري في البُنية الإنسانية.. هذه هي اللّبنة الأولى من البناء الإنساني الذي سيكون في العالم التُرابي.

■ رواية أخرى: (**عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله "عليه السلام": كيف أجابوا وهُم ذر؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه يعني في الميثاق**). مثلما جعل فينا في عالم الدُنيا ما إذا سُئلنا نُجيب.. والإمام أجاب بهذه الصُورة المُجملة لأنّنا لا نملك صُورة عن الذرّ الذي تحدّثت عنه الروايات.

■ رواية أخرى: (**عن جابر الجعفي عن إمامنا الباقر، قال جابر: لِمَ سُمّي أمير المؤمنين أمير المؤمنين، قال: سمّاه الله، وهكذا أنزل في كتابه: {وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذُرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم وأنّ محمّداً رسولي وأنّ علياً أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى}**) هذه هي الفطرة هكذا عُرّف صكّ البراءة في يوم القيامة.. فقد ورد في الروايات أنّ صكّ البراءة الذي يجوز به الإنسان يوم القيامة هو: "**لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين**" والميثاق في عالم الميثاق هو هذا.

■ رواية أخرى: (**عن جابر قال: قال لي أبو جعفر "عليه السلام": يا جابر لو يعلم الجُهّال متى سُمّي عليّ أمير المؤمنين لم ينكروا حقّه، قال: قلتُ: جعلتُ فداك متى سُمّي؟ فقال لي: قوله: {وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذُرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم وأنّ مُحمّداً نبيّكم رسول الله وأنّ علياً أمير المؤمنين، قال: ثمّ قال لي: يا جابر، هكذا واللهِ جاء بها مُحمّد**) هذه قراءة أهل البيت، والقرآن كما ذكرت نزل أكثر من مرّة.. فهذا نزولٌ آخر للقرآن.

■ إذا ما دقّقنا بين الآية 172 وبين الأحاديث الشريفة.. الروايات قرّبت لنا الصورة من أنّ ذُريّة آدم أُخذتْ مِن ظهره ولكن إذا دقّقنا في الآية فإنّ أبناء آدم أُخِذوا من ظهور آبائهم (يعني هناك عملية مُتسلسة في الإخراج). فالذين خرجوا من ظهر أبينا آدم هم الذين خرجوا من ظهره بشكل مُباشر، ومن ظهورهم - بحسب عالم الذر - خرجت ذُرّيتهم وهكذا.. إذا ما جمعنا بين الأحاديث وبين الآية الشريفة. فأصل الإخراج كان من أبينا آدم، ولكن الذي أُخرج من ظهر أبينا آدم هو الجيل الأوّل، وخرج بما يتناسب وذلك العالم.. والجيل الثاني خرج من الجيل الأوّل، وهكذا..

■ نحن لا نتذكّر ما جرى في عالم الميثاق، ولكن ما جرى في ذلك العالم هو الذي كوّن فطرتنا. (كُلّ مولود يُولد على الفطرة..) ولكن أبواه هما اللّذان يُغيّران هذه الفطرة.. بأن يصنعان حجاباً يُغطّي هذه الفطرة، فهما لا يُغيّران الفطرة تكويناً.

هناك أمور تؤدّي إلى هدم بناء التكوين الفطري، ومرّ الحديث في قصّة قوم لوط عن اللّواط.. ولكن من أبرز الأمور التي تهدم بناء التكوين الفطري هو اللّواط وأسوأ أنواع اللّواط حينما يُحوَّل اللّواط إلى عبادة كما يصنع الخطّابية.

■ قوله {**أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون**} هذا الإهلاك قد يكون في الدُنيا وقد يكون في الآخرة. إهلاك الدنيا هو الموت ولكنه موتٌ بعذاب، وإهلاك الآخرة هو العذاب.

● {**أفتهلكنا بما فعل المبطلون**} ما نحن الذين فعلنا.. آباؤنا فعلوا ونحن جرينا على الذي جرى عليه آباؤنا وما كان لنا من العلم.. فالجواب:

إنّكم قد مررتم في عالم الميثاق وهناك قد صنعتُ لكم الفطرة وأودعت فيكم الحقائق، فلو كُنتم فعلاً تبحثون عن الحقائق لأخذتكم تلك الفطرة وتلك الحقائق إلى الطريق الصحيح، ولكنّكم تكاسلتم، تُريدون أن تعيشوا بهدوء في هذا المكان، تخافون أن تواجهوا الأعراف والتقاليد، لا تستطيعون أن تُصارعوا الأباطيل، تُريدون أن تعيشوا بسلام وأن يُقال عنكم (هؤلاء أُناس كفّوا خيرهم وشرّهم عن الآخرين)!

● {**وكذلك نفصّل الآيات ولعلّهم يرجعون**} إن كان الحديث عن آيات الكُتب السماوية، وإن كان الحديث عن آيات الأنبياء ومُعجزاتهم فتلك جليّة أوضح من الشمس.. وإذا كان الحديث عن الآيات العُظمى فهي الآيات المُحيطة بهذا الكون.

■ ما يُؤخذ من ميثاق في عالم الذر، ليس بالضرورة أنّه لن يتغيّر في عالم الدُنيا، ولكن الجاري والغالب أنّ ما أُخِذ عليه الميثاق في عالم الذر سيجري في عالم الدُنيا.. ولكن لا يعني أنّ الذي قبل الولاية في عالم الذر سيقبلها حتماً في عالم الدنيا، ولا يعني أنّ الذي رفض الولاية في عالم الذر سيرفضها قطعاً في عالم الدنيا فربّما قد يقبلها.

■ قد يقول قائل: الذين نقضوا العهود في عالم الذر لماذا يُؤتى بهم إلى الدُنيا؟ والجواب:

أنّ عالم الذرّ هو مرحلة.. فإنّ الإنسان في الدُنيا أيضاً مع وجود قانون الإيمان المُستقر والإيمان المُستودع يُمكن للإنسان أن ينقض إيمانه في الدُنيا، فهناك أعمال وأمور تُؤدّي إلى تحويل الإيمان المُستودع إلى إيمان مُستقرّ وثابت، والعكس صحيح أيضاً.

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي نحن نسأل الله إيماناً لا أجل له دون لقائه تعالى، ولقاء الله ليس بالموت، وإنّما في القيامة.

فإنّ الإنسان قد ينقلب من الهدى إلى الضلال أو من الضلال إلى الهدى في الدُنيا، وربّما عند الموت! وربّما يعدل عن دينه في قبره أو عندما يُبعث!